



خطبة صلاة الجمعة 31 / 3 / 2017 للشيخ الطبيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

(مهنة التعليم -3-)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليفه، خيرُ نبيِّ اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كرهه، اللهم صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: 105].

وقال سبحانه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ [الأنبياء: 94].
أخرج البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ» [البخاري].
وأخرج البخاري ومسلم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ».

هذه هي الخطبة السابعة في سلسلة (مهنتي: فقهها وآدابها)، ونتابع اليوم الحديث عن مهنة التعليم، ولن تحدثت الخطبتان الماضيتان عن مسائل فقهية في مهنة التعليم، فإن خطبة اليوم تتحدث عن آداب مهنة التعليم.

أيها الإخوة:

ينادي العالم كله اليوم بالتمسك بالآداب والأخلاق والتربية بعد أن طحنت الحياة المادية الناس وأظهرت فواجع أخلاقية في المجالات الحياتية والمهنية كافة.

فأقام العالم اليوم تخصصات جامعية تعنى بأخلاقيات الطب وأخلاقيات الاقتصاد وأخلاقيات التعليم وأخلاقيات الإعلام وأخلاقيات المعلوماتية، ونحوها.

وأنشأ مواثيق ودساتير وجمعيات ودوريات ومجلات ومؤتمرات ومؤسسات تتحدث عن الأخلاق والآداب لكل مهنة من المهن.

ولئن كان الأدب لصيقاً بالمهن كافة؛ فإنه بمهنة التعليم ألقى، ولئن كان الخلق الحسن وثيق الصلة بأصحاب الحرف؛ فإنه بالمعلم أوثق، ولئن كان اللائق بالمرء كائناً من كان أن يتمسك بالخلق الرفيع فتمسك المعلم به أليق.

ولقد اطلعت على ميثاق المعلم العربي الذي أوصى باتخاذ المؤتمر الثالث لوزراء التربية والتعليم العرب سنة 1968، وعلى الدستور الأخلاقي لمهنة التعليم الذي أعدته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام 1979، وعلى ميثاق (أخلاق مهنة التعليم) الصادر عن مكتب التربية العربي لدول الخليج عام 1985م، وعلى إعلان أخلاق المهنة التي اعتمدته المنظمة الدولية للتربية في سنة 2001 في مؤتمرها الثالث، وعلى ميثاق أخلاقيات مهنة التعليم الصادر عن وزارة التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية عام 2006، وعلى ميثاق أخلاقيات مهنة التعليم وقواعد السلوك الصادر عن وزارة التربية والتعليم في السلطة الوطنية الفلسطينية عام 2012.

وقرأت عدداً من الكتب الإسلامية التربوية التي تتحدث عن آداب المعلم والمتعلم وأخلاقيهما كتبها علماءنا قبل أكثر من ألف سنة ، فقد ألف ابن عبد البر القرطبي وهو من وفيات (341هـ) كتابه "جامع بيان العلم وفضله"، وتحدث فيه عن فضل العلم وآداب التعلّم وما يُلزَمُ الْعَالِمُ وَالْمُتَعَلِّمُ التَّحَلُّقُ بِهِ، وَالْمُوَظَّئَةُ عَلَيْهِ.

وكتب ابن جماعة الكناي وهو من وفيات (733هـ) "تذكرة السامع والمتكلم بآداب العالم والمتعلم" يتحدث فيه عن أدب العالم والمتعلم. وغيرهما كثير، فضلاً عن ضَمَّن مصنفاته من علمائنا أبواباً عن آداب المعلمين كالإمام الغزالي في الإحياء وهو من وفيات 505 للهجرة، والإمام النووي في المجموع وهو من وفيات 676 للهجرة وغيرهما كثير.

وقد اخترت لكم مما كتب الأخيران بعضاً من آداب المعلم، وأنصح كل معلم بالعودة إليهما:

1- أَنَّ يَقْصِدَ الْمَعْلَمَ بِتَعْلِيمِهِ وَجَهَ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّهُ إِنْ صَحَّت نِيَّتُهُ نَالَ الْأَجُورَ جَمِيعَهَا الْمَذْكُورَةَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ عَلَّمَ النَّاسَ الْخَيْرَ، قَالَ ابْنُ جَمَاعَةَ: (وَاعْلَمْ أَنَّ الطَّالِبَ الصَّالِحَ أَعُوذُ عَلَى الْمَعْلَمِ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَعَزِّ النَّاسِ عَلَيْهِ، وَأَقْرَبِ أَهْلِهِ إِلَيْهِ).

ولو لم يكن للعالم إلا طالب واحد ينفع الله بعلمه وهديه لكفاه ذلك الطالب عند الله تعالى؛ فإنه لا يتصل شيء من علمه إلى أحد فينتفع به إلا كان له نصيب من الأجر).

وَقَدْ صَحَّ عَنِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: وَدِدْتُ أَنَّ الْخَلْقَ تَعَلَّمُوا هَذَا الْعِلْمَ عَلَى أَنْ لَا يَنْسَبَ إِلَيَّ حَرْفٌ مِنْهُ.

وَقَالَ: مَا كَلَّمْتُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا وَدِدْتُ أَنْ يُوفَّقَ وَيُسَدَّدَ وَيُعَانَ وَيَكُونَ عَلَيْهِ رِعَايَةٌ مِنَ اللَّهِ وَحِفْظٌ. وَعَنْ أَبِي يُوسُفَ صَاحِبِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى قَالَ: يَا قَوْمَ أَرِيدُوا بِعِلْمِكُمُ اللَّهَ فَإِنِّي لَمْ أَجْلِسْ مَجْلِسًا قَطُّ أَنُّوِي فِيهِ أَنْ أَتَوَاضَعَ إِلَّا لَمْ أَقُمْ حَتَّى أَعْلُوهُمْ وَلَمْ أَجْلِسْ مَجْلِسًا قَطُّ أَنُّوِي فِيهِ أَنْ أَعْلُوهُمْ إِلَّا لَمْ أَقُمْ حَتَّى أَقْتَضِخَ .

2- أَنْ يَتَخَلَّقَ الْمَعْلَمُ بِالْخِلَالِ الْحَمِيدَةِ وَالشَّيْمِ الْمَرْضِيَّةِ الَّتِي أَرْشَدَتْ إِلَيْهَا الشَّرِيعَةُ، وَأَنْ يَخَذَرَ مِنَ الْحَسَدِ وَالرِّيَاءِ وَالْإِعْجَابِ وَاحْتِقَارِ النَّاسِ، وَإِنْ كَانُوا دُونَهُ بِدَرَجاتٍ. روى الجاحظ من كلام عقبة بن أبي سفيان لمؤدب ولده قوله:

"ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بني إصلاح نفسك فإن أعينهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ما استحسنت والقبیح عندهم ما استقبحت".

3- أَنْ لَا يُذِلَّ الْعِلْمَ. وَلَا يَشِينَ عِلْمَهُ وَتَعْلِيمَهُ بِشَيْءٍ مِنَ الطَّمَعِ.

أنشد أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني:

رأوا رجلاً عن موقف الذلّ أحجما

بدا مطمّع صيرته لي سلّما

ولا كلُّ من في الأرض أرضاه منعما

لأخدم من لا قيت لكن لأخدما

إذا فاتباع الجهل قد كان أسلما

ولو عظموه في النفوس لعظمما

يقولون لي فيك انقباض وإنما

ولم أفض حق العلم إن كان كلّما

وما كلُّ برقي لاح لي استفزني

ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي

أأشقى به غرساً وأجنيه ذلّة

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم

4- أَنْ يَرْحَمَ الْمُتَعَلِّمِينَ وَ يُشْفِقَ عَلَيْهِمْ وَأَنْ يُجْزِيَهُمْ بِجُزَايَتِهِ، وَأَنْ لَا يَنْعَظَّمَ عَلَيْهِمْ، بَلْ يَلِينُ لَهُمْ وَيَتَوَاضَعُ.

روى أبو داود عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ أَعْلَمُكُمْ».

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: 88]

قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تَوَاضَعُوا لِمَنْ عَلَّمَكُمْ، وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تَعَلَّمُونَ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ جَبَّارِي الْعُلَمَاءِ.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَكْرَمُ النَّاسِ عَلَيَّ جَلِيسِي الَّذِي يَتَخَطَّى النَّاسَ حَتَّى يَجْلِسَ إِلَيَّ لَوْ اسْتَطَعْتُ إِلَّا يَقَعَ الذُّبَابُ عَلَى وَجْهِهِ لَفَعَلْتُ.

5- أَنْ يَرْجُرَ الْمُتَعَلِّمُ عَنْ سُوءِ الْأَخْلَاقِ بِطَرِيقِ التَّعْرِيزِ مَا أَمَكَنَ وَلَا يُصَرِّحُ، وَبِطَرِيقِ الرَّحْمَةِ لَا بِطَرِيقِ التَّوْبِيخِ.

وَأَنْ يَمْتَصِرَ بِالْمُتَعَلِّمِ عَلَى قَدْرِ فَهْمِهِ، فَلَا يُلْقِي إِلَيْهِ مَا لَا يَبْلُغُهُ عَقْلُهُ، فَيُفْقِرُهُ أَوْ يَحْبِطُ عَلَيْهِ عَقْلُهُ، اقْتِدَاءً فِي ذَلِكَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ قَالَ: «أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ» [أبو داود].

وَأَنْ يُجَرِّضَهُمْ عَلَى الْإِسْتِعَالِ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَيُطَالِبَهُمْ فِي أَوْقَاتِ بِإِعَادَةِ مَحْفُوظَاتِهِمْ، وَيَسْأَلُهُمْ عَمَّا ذَكَرَ لَهُمْ مِنَ الْمُهَيِّمَاتِ.

6- وَأَنْ يَجْلِسَ بِوَقَارٍ وَثِبَاتٍ نَظِيفَةٍ، وَيَصُونُ يَدَيْهِ عَنِ الْعَبَثِ، وَعَيْنَيْهِ عَنِ تَفْرِيقِ النَّظَرِ بِلَا حَاجَةٍ، وَيَلْتَفِتَ إِلَى الْحَاضِرِينَ التِّفَافًا قَصْدًا بِحَسَبِ الْحَاجَةِ لِلْخُطَابِ.

وَإِذَا سئلَ عَنْ شَيْءٍ لَا يَعْرِفُهُ أَوْ عَرَضَ فِي الدَّرْسِ مَا لَا يَعْرِفُهُ فَلْيَقُلْ لَا أَعْرِفُهُ أَوْ لَا أَتَحَقَّقُهُ وَلَا يَسْتَنْكِفْ عَنْ ذَلِكَ: فَمِنْ عِلْمِ الْعَالِمِ أَنْ يَقُولَ فِيْمَا لَا يَعْلَمُ لَا أَعْلَمُ أَوْ اللَّهُ أَعْلَمُ: فَقَدْ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ عِلْمٌ شَيْئًا فَلْيَقُلْ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ فَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ اللَّهُ أَعْلَمُ.

عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ جَمِيلٍ شَهِدْتُ مَالِكًا سُئِلَ عَنْ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ مَسْأَلَةً فَقَالَ فِي ثَنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ مِنْهَا لَا أَدْرِي.

وَعَنْ مَالِكٍ أَيْضًا أَنَّهُ رُبَّمَا كَانَ يَسْئَلُ عَنْ خَمْسِينَ مَسْأَلَةً فَلَا يُجِيبُ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهَا؛ وَكَانَ يَقُولُ: مَنْ أَجَابَ فِي مَسْأَلَةٍ فَيَنْبَغِي قَبْلَ الْجَوَابِ أَنْ يَعْزِضَ نَفْسَهُ عَلَى الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَكَيْفَ خَلَاصِهِ ثُمَّ يُجِيبُ: وَسُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَقَالَ لَا أَدْرِي فَقِيلَ هِيَ مَسْأَلَةٌ خَفِيفَةٌ سَهْلَةٌ فَعَضِبَ وَقَالَ لَيْسَ فِي الْعِلْمِ شَيْءٌ خَفِيفٌ.

أيها الإخوة:

هذه بعض الإجابات على مسائلكم الفقهية المتعلقة بمهنة التعليم وبعض آداب مهنة التعليم، سمح بهما الوقت.

فيا أيها المعلمون:

ابناؤنا بين يديكم أمانة، والتعليم في بلادكم بين أيديكم أمانة، فصونوا أماناتكم؛ وحسبكم فخراً ما روي من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إنما بعثت معلماً**» [ابن ماجه].

واذكروا أن المطلب الرئيس من كل من يستمع لهذه الخطب أن يُحَكِّمَ شرعَ الله في مهنته، لئن فعلتَ فأنت تتعبد الله تعالى في مكان عملك تماماً كما تتعبد الله تعالى في مسجدك، وإن لم تفعل فحاول أن تفعل، وابدأ الآن.

والحمد لله رب العالمين